اختتام المؤتمر الوزاري للحوار العربي الأوروبي

ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئيس مؤتمر القمة العربي والرئيس الفرنسي السيد فرانسوا ميتران الرئيس الحالي للمجموعة الإقتصادية الأوروبية بباريس أشغال الجلسة الختامية للمؤتمر الوزاري للحوار العربي الأوروبي المنعقد يوم 21 و 22 دجنبر 1989 بالعاصمة الفرنسية.

وخلال هذه الجلسة ألقى، صاحب الجلالة الخطاب التالي:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

سيادة رئيس الجمهورية وصديقنا الكبير

أود قبل أن أبدأ خطابي أن أعبر لكم في بضع كلمات باللغة الفرنسية، فضلا عن مشاعر جميع الحاضرين هنا، عن امتنان شعوبنا التي تنتظر من هذا المؤتمر، الذي يعتبر الأول من نوعه، الشيء الكثير سواء في الحال أو المآل.

إن أوروبا لم تكن معروفة من طرف أجيالنا في العقود الأخيرة كأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية اللتين كانت في وقت من الأوقات تلتقيان فقط من الناحية الجغرافية، وقريبا ستلتقيان قاريا وسياسيا.

وها هو العالم العربي من مضيق جبل طارق إلى مضيق البوسفور، ومن المحيط الأطلسي إلى السويس، ومن المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي الفارسي، يلتقي من جديد، بأوروبا.

وهذا لعمري موضوع يستوجب التفكير علينا أن ننكب عليه، أريد القول، إن حفاوة الإستقبال التي حظينا بها هنا سواء على المستوى المادي أو على مستوى التفاهم وتداخل الأفكار يبشر بأن أشغالنا ستكون إيجابية.

وأود باسم الجميع، أن أعبر لكم سيادة رئيس الجمهورية، عن تشكراتنا، واعرف أنكم سهرتم شخصيا على أن يسير كل شيء على ما يرام، وأشكر السلطات الفرنسية، وبطبيعة الحال، باقي أعضاء المجموعة الأوروبية، الذين كما قلتم ذلك بصراحة، سارعوا إلى تلبية دعوة المشاركة بتلقائية ولباقة وترحاب.

والآن إذا سمحتم سأنتقل للحديث عن صلب الموضوع.

وبعد ذلك واصل جلالة الملك خطابه باللغة العربية قائلا:

حضرات السادة:

مما لاشك فيه، أن هذا اللقاء العربي الأوروبي الذي يرجع وجوده إلى ما يزيد على عشر سنوات، والذي عرف في هذه المدة المد والجزر والعلو والإنخفاض، أراد الله سبحانه وتعالى وأرادت شعوبنا المشتركة العربية والأوروبية، أن يخرج اليوم من حيز الأحلام والأمنيات إلى حيز الجد والتطبيق والتفكير والإنجاز، فهذا يشكل أولا وفي حد ذاته مرحلة حاسمة بالنسبة لحوارنا، ولكن كلكم يعلم أن بني البشر منذ أن نظموا، حياتهم وعشرتهم ومعاملاتهم، نظموها دائما في أجواء وفي جوار يكون ذلك الجوار

وتلك الأجواء في بعض الأحيـان من العوامل الإيجابيـة النافعة، وفي أحيـان أخرى يكـون الجوار وتكون البيئة عوامل من التفتت ومن التفرق ومن الجفاء.

ومن رحمة اللـه علينا جميعـا، وهذا مـا يجعلني أتفـاءل جدا، إن اجتماعنـا على هذا المستـوى بين أوروبا وبين الدول العـربية، جاء في ظرف من التاريخ حتى لـو كنا أردنا أن ندقق له موعـده وموقته لم نكن لنصل للمنعطف ومفترق الطرق الذي يحتم علينا أن نفكـر بسرعة وأن نسير بأناة وأن نقرر بحماس وأن نطبق بحكمة، ذلك لأن أوربا ليست هي الوحيدة التي يجب أن تهتم بما يقع في شطرها الشرقي.

إن أوروبا تقع في شمال عالمنـا ونحن نقع في جنوب العالم الأوروبي، وأوروبا منـذ أسابيع، أصبح يتغير شكلهـا وتتغير مفاهيمهـا وآمالها وتخطيطـاتها، ولكن لا تتغير حدودهـا الجغرافيـة بل حدودهـا الإيـديولـوجية ومفـاهيمها، المفـاهيم التي يجب أن تجعل من رجل أوروبـا الشرقية مـا يسمى بالـرجل الإقتصادي «أومو إيكونوميكوس».

فإذا كان شيء يفتقر إليـه العالم الشرقي فهو الرجل الإقتصادي، فغياب هـذا الرجل الإقتصادي هو الذي سيكون في نظري العقبة الكأداء في طريق نمو أوروبـا الشرقية وخروجها مما هي فيه إلى ما تريد أن تصل إليه.

وهـذا العمل البشري وهذا العمل الحضـاري وهذا العمل الإقتصـادي والإجتماعي لماذا يجب أن يكون فقط على كاهل الدول الغـربية؟ لماذا لا نشترك فيه جميعا بطاقتنا وربما أعطانا اللـه سبحانه وتعالى من مواهب وخيرات؟ وأن نضع اليوم - ناسين الحروب الصليبية وما فرق بيننا في القرون الماضية - يدنا في يد جميع الأوروبيين كأبناء آدم يدينون بدين إبراهيم الحنيف، كمشاركين أصليين في التاريخ الذي بنيناه والـذي ما بنينـاه فيه كـان له حظ محترم وحظ لا تـزال البشرية تسير عليـه من حساب ومن علـوم ومن تقنيات ومن مواهـب ومن اكتشافات، لماذا نحصر حوارنا في «إعطنـي أعطيك» ولماذا نحصر حوارنا في المشاكل السياسية العارضة؟

لا يمكننا أن نتعـانق وأن نسير يدا في يد نحو أهـداف مشتركة إلا إذا نحن انطلقنا جميعـا من أننا أردنا أوروبيين وعربـا أن نكون مسؤولين - كل حسب طـاقته - على ما سينبثق عليه هـذا المخاض الذي يعيشه آخر هذا القرن والذي نعيشه نحن ولم نكن نرتقبه أو نتكهن به، ولو في السنة الماضية.

نعم بين أوروبا والدول العربية مشاكل قائمة، ولكن هل معنى هذا أن تلك المشاكل هي مشاكل جـوهريـة؟ وهل معنى هذا أن مـواقف أوروبـا دائما وبصفة مبـدئية وبكيفيـة مضطردة ستكـون رفض مطالب العرب الأولية والضرورية؟ ما هي مطالبنا لنطمئن؟ ولا يمكن حقيقة للأوربيين أن يطمئنوا لنا - لا أقصد من نـاحية الثقـة لا أبدا ولكن ليطمئنـوا لإطمئناننـا - ويـركنوا لطمأنينتنـا إلا إذا نحن وضعنا أمامهم مشاكلنا وإذ هم قاموا بمجهود مهم في تفهمهم لمشاكلنا.

تلك المشاكل هي أولا قضية الشرق الأوسط والنزاع العربي الإسرائيلي، أسأل هنا سؤالا. . هل من أوروبي أو عربي يـريد أن يبقى هذا النزاع مستمـرا إلى ما لا نهاية له؟ لي اليقين أن جـوابكم سيكون لا. هل منا سواء من أوربيين أو عرب من يريـد أن تبقى الأراضي محتلة دون أن يكون لشعب - وهو الشعب الوحيد في العالم - شرف وفرحة الهوية والإنتساب إلى تراب والتوفر على جواز والإفتخار بعمل؟ أقول لا، ليس فينا لا من أوروبيين ولا من عرب من يقول لا.



حينما وقع ما وقع بلبنان الشقيق، هل القضية اللبنانية وما كان لها من عواقب على الساحة العربية وغير العربية. هل تلك المأساة لم يك لها إلا العرب وحدهم؟ هل العرب هم الذين انشغلوا وحدهم بها وبما كان لها وبما يمكن أن يكون لها من مضاعفات محلية وغير محلية؟ أظن أننا حتى في هذه النقطة كلنا متفقون على أن نجد حلا لهذه المشكلة يمكننا من أن نتفرغ إلى ما هو أهم وإلى ما هو أقوم بيننا وبين الدول الأوروبية: تعامل اقتصادي، وتجاري ولكن هذا التعامل ليس متوازيا بل فيه الراجح والمرجوح، هل منا من لا يريد أن لا يكون بعضنا لبعض المتعامل الكفء الشريف الكريم الذي يأخذ ويعطي؟ ولا يأخذ بدون أن يعطي أقول مما لاشك فيه أننا كلنا متفقون على أن نعيش على قدم المساواة وقدم المحبة وقدم التعامل الشريف النظيف.

بيننا مشاكل تهم شعوبنا وتربيتنا سواء كانت أوروبية أو عربية. فالأوروبيون لهم تربية وبيئة وأخلاق، ولهم عوائد ومعتقدات ولنا مثل ما لهم.

وقد أظهر الأوروبيون والعرب أن لهم من الثقافة والحضارة والعمران وعلو الهمة واتساع الآفاق وسعة الثقافة ما يجعلنا يخاطب بعضنا بعضا كرجال كفاة على قدم المساواة لا دافع لنا ولا هدف إلا أن نكون نواة أخلاقية لتعامل بني الإنسان في هذا القرن الذي يطل على القرن المقبل، في خضم ما يجري وسيجري حولنا من التغيرات ومن المشاكل.

هذه فخامة الرئيس وصديقي الكبير، وهذه أصحاب السعادة وحضرات السادة، هي النقط الفلسفية المذهبية التي أريد أن أستخلص من هذا التجمع ومن هذه الساعات التي مضت من العمل المشترك.

وقد بلغني أن العمل سواء بين الخبراء وهذه معجزة، أو بين الوزراء وهذا ما يكمل المعجزة، كان دائما عملا حكيما هادفا مطمئنا لا ديماغوجية فيه ولا عنف ولا تجاهل البعض للبعض. فلنتفاءل بهذا المنطلق الباني الإيجابي ولنقل أن أوروبا هي الآن تمشي وأوروبا ـ أقول القارة الأوروبية وليس البلاد ـ هي من المحيط إلى جبال الأورال، والدول العربية في جنوبها من المحيط إلى العراق والكويت والسعودية وباقي دول الخليج، فنحن إذن أمام بعضنا البعض تقابلنا في التاريخ ونريد أن نبقى نتقابل ولكن بوسائل أخرى وبمفاهيم أعلى وبمطامح أشرف.

أريد قبل أن أختم هذه الكلمة ـ وقد حاولت في مثل هذا الإجتماع أن أخرج بنتيجة سياسية وأخلاقية وليس نتيجة الموثق الذي سيسجل ويكتب كل شيء ـ أن أقول، وأظن أن جميع إخواننا العرب يعتقدونه، هو أنه يجب أن تتكرر مثل هذه الإجتماعات بكيفية دورية منهم من اقترح سنتين ومنا من اقترح سنة، وأنا لست من أصحاب السنتين لأن في سنتين تكون الرئاسة في أوروبا قد تغيرت أربع مرات، أنا أقترح أن ينعقد الإجتماع الأوروبي العربي مرة في السنة، حتى يمكن للقائنا أن يكون لقاء متابعة وليس لقاء الجري بسرعة فائقة على ما فاتنا مدة سنتين.

فأملي كما شرفنا فخامة الرئيس فرانسوا ميتران، رئيس الجمهورية الفرنسية رئيس الدورة الحالية للمجموعة الأوروبية، باستدعائنا اليوم، أن يستدعينا الرئيس في السنة المقبلة لدورة أخرى وسنكون سعداء للنظر جميعا في ما نكون قد قررناه، نعم إن المجموعة الأوروبية تعلم ما ستفعل ومخططها ربما مهيأ ومتقن.



وعلينا إذن إخواني العرب ـ نحن أعضاء الجامعة العربية ـ أن نجتمع فيما بيننا تقنيين وخبراء ووزراء حتى إذا جئنا إلى لقاء أصدقائنا الأوروبيين في الدورة المقبلة نكون قد جئنا بمقترحات ونكون بذلك قد خطونا الخطوات التي نأمل أن تكون في مستوانا .

ومرة أخرى فخامة الرئيس ، صديقي العزيز، أشكر لكم حسن ضيافتكم ، ومرة أخرى أتوجه بالشكر إلى وزراء خارجية الدول الأوروبية لما أظهروه من تفهم ومن إرادة فعلية لفهم مشاكل العرب والتعامل مع العرب ، وشكرا لكم أخيرا إخواني وزراء خارجية الدول العربية ، ونتمنى للجميع دوام الصحة والعافية وبالأخص ونحن على أبواب السنة الميلادية ، نتمنى لأصدقائنا الأوروبيين وعلى رأسهم فخامة الرئيس وصديقنا العزيز والكبير فرانسوا ميتران سنة سعيدة وعمرا مديدا وحياة وطنية طيبة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

22 جمادى الأولى 1410 ـ 22 دجنبر 1989